سيميوطيقا اللون - دراسة ثقافية -

د. ناجي عباس مطر،
جامعة ذي قار، العراق

الملخص

لعبت الألوان دورًا محوريًا في التواصل مع الآخرين ، من خلال عقد اتفاقية غير مكتوبة تخلق نموذجًا تعاونيًا يضمن نقطة مركزية للوصول إلى إنتاج المعنى ، تلك الاتفاقية التي تميزها أوجه التشابه الثقافي التي تكمن في عمق الوعي لبناء علامات سيميائية شائعة قوانين غير مكتوبة. بنيت رموز اللون وعلم نفس اللون ثقافيا على العلاقات الثقافية تختلف في الزمان والمكان والثقافة. قد يكون للون معين عدة معانٍ رمزية وتأثيرات نفسية حتى في نفس المكان. إن رد الفعل تجاه الألوان ليس غريزيًا بل مكتسبًا ويختلف من مكان لآخر. لا تنتهي عملية التواصل هذه ، ولكن فقط عندما تتفاعل الأنا مع محيطها الذي ينتشر في الزمان والمكان ، مما يعني أن التعريفات الملونة الدلالية هي ظواهر ثقافية نقية ترتبط بالخيال الجماعي الذي يشكل بعض الأساليب التي لها علاقة بالأساطير والتفكير الديني لهذه الجماعات.

تمهيد في فلسفة الألوان

أنّ فلسفة الألوان تخضعُ بالأساس لأنساق الثقافة الاجتماعية المؤسِّسة في كلّ مكان ،وليست نتاج معرفةً فطريةً يشترك فيها جميع البشر، لذلك تتعدد الخيارات اللونية وتتبدل تبعاً للخواص التاريخية التي اشتركت في بلورتها الأنساق السرية للمخيلة الاجتماعية لأية مجتمع ،فهي جزءٌ من عناصر هذه المخيّلة الجماعية، وهي تتميّز ببساطتها وبكونها لغةً كونيةً لا ترتبط بشعبٍ أو ثقافةٍ معيّنةٍ،وعلى وفق ذلك يمكننا تخيّل المعيارية التي تأسست على وفق تجريبٍ تاريخي و حتّمت على أيّة مجموعةٍ انتخاب منظومةٍ قيميةٍ تتدخل في اختيار ألوان ملابسها أو علاماتها الوطنية تسميته العمق التاريخي لها.

في السيميوطيقا

تبحث السيميوطيقا في العلامات والرموز بمختلف أنواعها عينية ، اجتماعية ، ثقافية ما دامت متداولة وسط المجتمع كرموز "وهذا يعني بدايةً أنه لا يوجد دال كوني، وبأن الدال هو موضع اختيار سوسيوثقافي مخصوص دائما ومحلي(أي خاص ببلد وبثقافة معطاة) ومحدد تاريخياً"(كورتيس ٢٠١٠م :٤٥)،والألوان علامةٌ وإيقونةٌ تحيل الإنسان إلى رمزيةٍ سريّةٍ يمكن من خلال الرصد والترقّب اكتشاف معنىً غائبٍ يمكن تتّبعه من خلال النظر للون كعلامة سيميائية ،وبشكلٍ أوسع فإن كلّ معطى محسوس يدعونا لإيجاد معنى موافق...وفي الحدّ الأقصى فإنّ كلّ ما هو موجود أو يمكن أن يُتخيّل في إطار كون سوسيو ثقافي"(المصدر نفسه : ٢٣-٢٤).

أي أن هناك علاقةٌ جماعيةٌ تخصّ الطبيعة الثقافية للمجتمع ، والكيفية الوظيفيّة التي تنظّم علاقته مع الألوان والمعنى ،وبتعبير امبرتو ايكو "لا نتعرف على أنفسنا إلا باعتبارنا سيميائية في حركة وأنظمة ومدلولات وعمليات تواصل والخارطة السيميائية وحدها هي التي تقول لنا من نكون وكيف(أو فيم) نفكّر"(ايكو ٢٠٠٥م:١٦) ،ولعلّ الألوان بما توفره من تحريض ثقافي ساحة رحبة له لممارسة لعبة تأجيل المعنى أو محاولة إعادة إنتاجه بما يتواءم وفهمه فـ"اللون يحتلّ في حياتنا منزلةً أكبر بكثيرٍ مما نتصوّر،فهو يلاحقنا في الملبس والمسكن، والأدب والفن،في حياتنا المادية والمعنوية"(عبيد ٢٠١٣م: ٧)، لذلك فان الاقتناع برمزية الألوان وإحالتها في ضوء قيمتها البصرية من قيمة تشكيلية إلى قيمةٍ ثقافيةٍ لن تكون اتفاقاً عرفياً أو ثقافياً عالمياً ،وإنّما تبعاً لتضافر عواملِ فالعرب مثلا احتفلت بالبياض رمزا للجمال فالماء ابيض والبحر ابيض والسحاب ابيض،والسيف أبيض والنساء بيض"والأبيض عند اليونانيين دليل الفرح والسرور وهو رمز للطهارة والشرف في معظم التقاليد لدى الشعوب وهو لون النقاوة والسلام" (محمود٢٠٠٧م:١٠٨)فلاغرو أن يخاطب أبو طالب النبي بقوله:

وأبْيَضَ يُسْتَسْقى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ربيع اليَتامى عِصْمَةٌ للأراملِ(بي طالب بلا :٢٦)

والبياض في مجمل الثقافات البشرية يحيل لكل ما هو ايجابي دوما،ولو تلمسنا جوهر العقيدة التاوية فيمكننا بسهولة التعرف على ذلك الجوهر الايجابي للون فـ"الدارة الفارغة التي رمز إليها الفكر التاوي بدائرة كاملة، قد أنتجت بداخلها القوتين العظيمتين قوة يانج الموجبة وقوة ين السالبة ... واحدة بيضاء ترمز لليانج الموجب المذكر،والأخرى سوداء ترمز للين السالب المؤنث "(السواح ۲۰۰۲م :۱٦۸) ،لذلك نجد أن البدوي يطلق صفة البياض على أكثر الأشياء حميميةٍ له ولعلنا في قول امرئ القيس نتلمس ذلك حيث يتنقل البياض في تحولاته ما بين السيوف المحببة وما بين النساء:

وبيضٍ منعت،وبيضٍ سلبت وبيضٍ كنفت،وبيضٍ كفيت(القيس۱۹۸٤م:۳۲۲)

وهكذا يتحدد الاهتمام تبعاً لوظيفية الألوان وعلاقتها بالمكان ،فحينما تمثل السهلي علاقته الروحية أعاد إنتاجها في ضوء طغيان الموجود على بيئته ومكانه، فكانت قبب المراقد خضراء وأقمشة البركة خضراء والرايات خضراء"وربما كان اللون من أهم الأشياء التي استعملت كرموز،إذ يمكن للون أنْ يتحرك على شاكلة تعبيرٍ رمزيٍ، أو تكوينٍ جماليٍ، لمختلف الأغراض الحياتية أو الفنية ذات الرؤية المختلفة، كما يمكن أنْ يكون واسطةً للتعبير عن العاطفة الإنسانية على اختلاف نزعاتها ودوافعها "(عبيد۲۰۱۳م:٤۰)، فيما بقي الأسود في معظم الثقافات رمزا للنهاية والموت لارتباطه بالظلام والعمى،وصار السواد رديفاً لكل الإحالات السيئة في الوجود:

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذلك خبّرنا الغداف الأسود"(الذبياني۱۹۹۱م:۳۸)

ارتباط السواد بالفراق وبكلّ ما هو سلبيّ في الذاكرة الثقافية الجمعية، ساعد بأن يجعل العرب يتخذون من القط الأسود أو الكلب الأسود وسائط بين عالمي الأنس والجن(عجينة ۱۹۹٤م:ج۱،۲۹۹)، فكانتا مطايا للجن لاقتران السواد في تكوينها.

ويرى الصادق الميساوي في مجال نقده لمنظومة الألوان عند العرب أنّ"الألوان العربية دائرية ،تتصل فيها الألوان اتصالاً، فتجري العين من اللون إلى اللون دون توقّف:يشيع البياض حتى يتصل بالحمرة،وتتسع الحمرة حتى تتصل بالصفرة،وتتداح الصفرة حتى تصير سواداً، ويفشو السواد حتى يغدو خضرة،وتذيع الخضرة حتى تصبح زرقة،وتنتشر الزرقة حتى تدرك البياض"(الميساوي الألوان في اللّغة والأدب حوليّات الجامعة التّونسيّة العدد۳٦لسنة ۱۹۹٥م:۲٥۹)وقد يبدو ذلك الاضطراب نوعاً من الارتباك الجمالي لأول وهلة ولكنه في الحقيقة يحمل نوعاً من الخصوصية الوجدانية،فالعربي لا يتعامل مع الألوان ضمن نشاط مجالها الفيزيائي،وإنما يتعامل معها وفق خصائص إحساسه الشعوري بها لذلك فان تلك الألوان تتبدل وتتقمص صفاتا جديدة تبعا لتلك الخصوصية، وهو التداخل الذي يفسّر لنا كثيراً الخطأ الذي افترضه البعض في الاستقبال السلبي للألوان عند العرب، لذلك فإننا نعتقد أن رواية محمد عجينة تبدو مرتبكة بقوله"بأن اللون الأحمر واللون الأزرق عند العرب لونان مكروهان ويعتبران مشئومين ومن أمثلتهم السائرة أشأم من احمر عاد ،وأشأم من البسوس وكانت زرقاء العينين مثل الزباء ملكة تدمر وزرقاء اليمامة الكاهنة"(عجينة ج۱،۲۰۱) لأنه تعميم قاصر فالعربي لا يرى الألوان تبعا لوظيفتها الفيزيائية ،أو بسبب فقر اللغة العربية في اقتراح اصطلاحات لونية جديدة وإنما بناء على ما تقرره أحاسيسه الوجدانية في تعاملها مع المجال اللوني ،وبذا يمكن أن نفهم تقرير سيف الدولة في مجال تعريفه بالوان قوس قزح:

"وطرّزها قوس السماء بأصفرٍ على أحمرٍ في اخضرٍ تحت مبيضّ

ولا عجب في قوله،فالبرتقالي يُرى أحمر،أو أصفر،والبنفسجي يُرى أحمر ،أو أزرق،والنيلي والأزرق يلوحان لعين الشاعر زرقة،والزرقة في لغة العرب بياض،ومن ثمّة ذكر المبيض، حتى لكأن الشاعر يبصر بالعين ما تراه اللغة، بل هو لايبصر إلا بعين اللغة" (الميساوي الألوان في اللّغة والأدب حوليّات الجامعة التّونسيّة العدد۳٦لسنة ۱۹۹٥م:۲٦٥).

وقد وردت في القران الألوان الرئيسية التي اشتقت منها باقي الألوان فقد أورد الأخضر والأصفر والأبيض والأزرق والأسود والأحمر . حيث ورد اللون الأسود في ثلاث آياتٍ قرآنيةٍ وصفت فيها المجرمين والكفار والمنافقين أو لتحدد توقيت بدء الإمساك **عن** الطعام في رمضان ، أمّا اللون الأبيض فتكرر ذكره في خمس آياتٍ كريمةٍ، ودلّ على الهداية والنقاء والحب والحق وتداخل مع القدسية ورمز لصفة الخالق ونجده خير ممثلٍ للسلام في العرف الشعبي العراقي بمقولة"راية الله بيضاء" , وجعله المشرّع واجباً إلزامياً ليكون لون الملابس التي يجب ارتداؤها في الكفن ، والإحرام أثناء شعائر الحج،وورد اللون الأزرق مرةً واحدةً في سياق الحديث عن المتكبرين على دين الله،وورد اللون الأحمر مرة واحدة في وصف الجبال أمّا الأصفر فيرد ثلاث مرات دالّاً على مرحلة نضج الثمار مرةً ووصف لمشهد يوم القيامة والرياح الحانقة في أخرى للتعبير عن البهجة،وتكرر اللون الأخضر في خمس آياتٍ ويرمز فيها

إلى سر الروح والنضارة والجمال حيث ضرب الله مثل القيامة من اخضرار المزارع في الربيع بعد أن كانت كالموات،وقد وعد المسلمون المتقون بالجنة ، حيث السندس و الإستبرق الأخضر و الظلال الخضر في كل أرجاء الجنة و جوانبها.

اللون وأنماط التفكير لدى الإنسان

لعبت الألوان دوراً رئيسياً في التفكير الديني للشعوب القديمة، إذْ نظرت مختلف الديانات إلى اللون بوصفه إحالةً رمزيةً إلى مقدّسٍ سرّي وإشارةً مشفّرةً إلى معنىً مهيبٍ، فالإيرانيون القدماء نسبوا إلى الكواكب تأثيراً حسناً أو سيئاً، بحسب ألوانها ودرجة لمعانها، وقدّما اللونين الأبيض والأسود ليكونا علامتين مقدستين فاصلتين لمثنى العبادة ؛النور" الأبيض" حيث يكمن اهورا مزدا والظلمة " الأسود" حيث يكون اهريمان ،فـ"في أي مكان يوجد نوراً،يمكنك أن ترى الرب فيه وهو قبلة أينما وُجد،أشعة الشمس،ضوء القمر،النار،المصباح وكذلك النور في الداخل وفي القلب وفي الروح،كلّ هذا هو من أشعة أهورا مزدا ولهذا سميت الجنة في الأفستا بالضياء اللا متناهي"(يوسفي ٢٠١٢م :٢٢١)وهو الأمر الذي يفسر لنا تقديس الإيرانيين القدماء وتبجيلهم للون الأبيض،والأصفر الذي يعدونه من تجليات اللون الأبيض ،في مقابل اللون الأسود لون الظلمات الذي يرمز لكل ما هو متسافل وشرير في الدنيا،فالبياض والسواد لونان يرمزان إلى الخير والشر المطلقين في الديانة الزرادشتية ، وفي البوذية كان اللون الزعفراني لون الكهان والنساك فالزعفران قبيحٌ بشكله لكنه عميقٌ ومهمٌ جداً في أدائه الوظيفي،ولعلّ للمكان دورٌ رئيسي في انتخاب الألوان في البوذية،فلون اللباس الذي يميّز الراهب البوذي"يختلف قليلاً من حيث الشكل وكثيراً في اللون حسب المناطق،بين الزعفراني والليموني في البلاد المشمسة،والأحمر البنفسجي أو الرمّاني في جبال الهملايا القاسية،والبنّي أو الرمادي في كوريا ،والأسود في اليابان"(لفنسون٢٠٠٨م: ٧٧)، وفي الهند يعتمر السيخي عمامته الأولى بيضاء وتعني انه مريد طالب علم مبتدئ على الطريق وبعد عبوره الامتحان الأول يتحول إلى العمامة الزرقاء بلون السماء كناية عن التحول الروحي والاقتراب من السماء ،حتى إذا تجاوز تلك الرتبة بمجموعة تمارين روحية يعتمر العمامة السوداء وهو لون الحكمة في الثقافة السيخية، فيما جعل الإسلام لباس الجنة اخضراً تتويجاً لهذا اللون أمام استبداد اللون الصحراوي القاتم الذي يحاصر البدو في الجزيرة العربية ،وجاء في العهد القديم أنّ الرب الإله قال لنوح: يكون قوس قزح علامةً بيني وبين الأرض(الكتاب المقدس ،سفر التكوين الايات١٤-١٧)، فلاغرو أنْ التصق الإنسان بالرقم سبعة ليكون رمزاً للخلاص والحظ السعيد .لأن ألوان القزح سبعة

وفي العراق القديم يبدو أنّ اللونين الأسود والأخضر قد لعبا دوراً حاسماً في رموز العقائد الدينية لقدماء العراقيين أكثر من أيّة ألوانٍ أخرى نعرفها عنهم فالأسود هو لونٌ يرمز للرحم الأنثوي في زمن عبادة الأم عند معظم الشعوب ،لون عشتار التي حزنت على تموز فتجشمت عناء الدخول إلى عالم الظلمات لأجل إنقاذه, لون العالم السفلي والموت حيث يرقد تموز لستة شهور كاملة قبل أنْ يطلّ مع النيروز الأخضر , لون الكهوف التي يختلي بها القديسين لكي يبصروا بياض الحقيقة , وفي العراق القديم انتشرت عادة دفن الموتى بعد طلائهم بالقير(حنون ٢٠٠٦م ج٤٢/١) فالموت وانْ كان مقدساً يحمل ملامح سوداء، لذلك لبس العراقي القديم السواد لكي يعلن حزنه ، ومشاركته الغائب في رحلة الظلمات فهو يلبس الأسود مشاركةً وجدانيةً منه في التشبّه بما يحيط بأحبابه في رحلتهم الأبدية، لون المقاومة النفسية للموت الذي وان أصبحت العلاقة معه مألوفة لكنها قاسيةٌ، وليس لوناً شيطانيًا أو ملعوناً كما حاولت تعريفه الديانات الإبراهيمية الثلاث ,وحيث إنّ الموت صار شريكاً فاعلاً بحياة العراقي ، فقد تغلغل اللون الأسود في الذات العراقية ليكون هويةً "فكلّ ثقافةٍ تؤلّف مجموعةً من السمات القابلة لتعيين الهوية ،أو نظاماً واضح الحدود ، فمنذ الولادة يجد كلّ فردٍ نفسه محاطاً بمجموعةٍ من العوامل الثقافية التي تطبعه بطابعها الخاص أو أنّها تهبط عليه ويصبح فيما بعد حاملاً لها" (تروداك ٢٠٠٩م:٩٠)،فالحزن ماركة عراقية ثابتة"فلا ريب أن الإنشاد الذي عادة ما يقترن بالفرح صار لازمة لأحزان العراقي فهو يغني جذلاً بنمط حزين ويبكي منكسراً بالنمط نفسه، فكان يُغنّون أفراحه دوما بإطارٍ إنشاديّ حزينٍ، وكأنّه يستبطن الفجيعة دوماً،وفي الوقت نفسه يستعيد الماضي الحزين لكي يفككه ويمتص آثاره المهيمنة في مناخ مناسباته السعيدة، والحقيقة إنّ تأثيث الواقع بكلّ ما يعيد إنتاج اللذة إنّما يمثّل في حقيقة الأمر شكلاً تعويضياً يتمثّل بعودة ما هو مكبوت إلى التجسّد والتمظهر بطريقة رمزية جديدة"(الركابي ٢٠١٢م:١٠٩) .

تلك العلاقة الحميمة مع الموت التي ورثتها المرأة الجنوبية جعلتها تتصالح معه فاتخذته واجهةً لونيةً لها ، حتى أنّها عرفت على الدوام بتلك العباءة السوداء, وقد وجدتُ في التراث الدينيّ أحاديث دينيةٍ شيعيةٍ يقدسها أهالي الجنوب العراقي تمنع اللون الأسود وتحرّمه ، لكن النساء رغم ذلك بقين على سواد عشتار، فقد روي عن الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام قوله "لا تلبسوا السواد، فإنه لباس فرعون"(الحر العاملي ١٤١٢هـ ج٤ /٣٨٣).

أمّا اللون الأخضر فهو لون النيروز حيث الحياة الجديدة والولادة المكررة ،ارتبط في ذهنية العراقي بكلّ ما يحيل للتجدد والولادة والبدء هو لون تموز المقترن بعودته من العالم السفليّ فلاغرو أنْ يكون هذان اللونان هما المفضلان لدى العراقي في راياته الدينية اللاحقة، وما يتعلق بها.

اللون لغة بصرية

شكّل اختيار الألوان لدى الإنسان نوعاً من أنواع اللغة الدلالية الشاهدة و غير المنطوقة، لكنها قادرةٌ على البوح بأشياء كثيرةٍ ،نظراً لما تبثّه من ترميزٍ وإحالاتٍ ذهنيةٍ "فالألوان ظاهرةٌ ثقافيةٌ وليست مسألةً غريزيةً أو فطريةً لأنّ العوامل الثقافية هي التي تحدّد اختيار وتفضيل الألوان"(بلاي ۲۰۱۰م:۱۳)،كأنْ تحدّد منزلةً كهنوتية أو طبقةً اجتماعيةً أو مكانةً رسميةً أو تشير إلى عرقيةٍ بشريةٍ معينةٍ من خلال الإشارة إلى هوية شعبٍ من الشعوب كالساري الهندي والكيمونو الياباني والدشداشة العربية أو الشيروال الكردي ، أو الإشارة إلى دينٍ من الأديان كملابس الرهبان البوذيين المصبوغة باللون الزعفراني الأصفر أو المعطف الأسود الطويل الذي امتاز به حاخامات اليهود أو الإشارة إلى أنواع العقاب - كملابس السجناء - والمحكومين بالإعدام، ولعلنا يمكن أنْ نرى زياً معيناً وبلونٍ معيّنٍ وبطرازٍ محدّدٍ فنعرف إنّه يمثّل رتبةً من رتب ديانةٍ ما ، كعمائم رجال الدين الشيعة الذي يتحدّد نسبهم من ألوانها أو كملابس الكرادلة الأرجوانية وملابس الرهبان والراهبات والقسس،الألوان تمثّل مجموعةً من الرموز والعوائد التي يختلف استيعابها بحسب القيم الخاصة بكل ثقافة فقد "اعتقد الهنود في وجود ارتباطٍ بين الطبقة الاجتماعية واللون، وكما تقول أسطورتهم:

أ:من فم الخالق جاء البراهمة الذين لونهم ابيض وهؤلاء هم رجال الدين.

ب: ومن ذراعيه جاءت طبقة الجنود الذين لونهم احمر.

ج:ومن فخذه جاءت طبقة التجار وهؤلاء لونهم اصفر

د:ومن قدمه جاءت طبقة الخدم وهؤلاء لونهم اسود"(عمر ،۱۹۹۷م:۱٦۱-۱٦۲)

وقد عيّن الخليفة عمر بن الخطاب"رض" لأهل الذمة ثلاثة ألوانٍ هي الأزرق للمسيحيين والأصفر لليهود والأحمر لليهود السامريين،فصار اللون المعيّن هويةً رمزيةً لكلّ منهم،وسجناً يتحرّك في أبعاده المنضوين لها ، حتى لنجد في أحيانٍ كثيرةٍ وفي أثناء التبدّلات السياسية أنّ جلَّ ما يطلبه أهل الذمّة من الزعماء الجدد التحرّر من سلطة اللون فلا عجبَ إذْ نعرف"أنّ بعض أهل الذمة اعتنقوا الإسلام أو استعملوا الشفعاء رغبةً منهم في التخلص من وضعية الصغار و من ثقل الغيار"(المنصوري۲۰۰۷م:۸۷)،والصغار هو الإهانة المرفقة لدفع الجزية،أمّا الغيار فهو السجن اللوني لهم.

وإذا كان الأمويين قد اتخذوا من اللون الأخضر في بداية عهدهم رمزاً لوجودهم تأثراً بالساسانيين الذين كان لون الربيع رمزاً لهم فإنّهم وما إنْ رأوا أنّ الشيعة قد اتخذوا من السواد شعاراً لهم بسبب حزنهم على الحسين "عليه السلام" إلّا وانقلبوا على شعارهم القديم لأجل اختيار ضدٍّ نوعيّ رمزيّ يوازي ما اتخذه أعداءهم الشيعة " فقد اتخذ الأمويون حتى ذلك الحين البياض شعارهم ولون رايتهم ،خلافاً للعباسيين الذين اعتمدوا السواد شعاراً لهم،وذلك من واقع الحزن على شهداء أهل البيت الذين سقطوا ضحية استبداد الحكم الأموي"(فلوتن۱۹۹٦م:۱۱۱)، وهو اختيار براغماتي سرعان ما جعل أئمة الشيعة بسبب اكتشافهم لخداع العباسيين لهم واتخاذهم قضية الحزن على الحسين"عليه السلام" جسراً لمطامعهم ،يقررون بنبذ السواد فنقلوا عن الامام علي(ع)" لا تلبسوا السواد فإنّه لباس فرعون"(الحر العاملي ۱٤۱۲هـ، ج ٤ / ۳۸۳ - ۳۸٤)وهو ما يدلّ أن كراهة اللون كان في مرحلة تالية بعد تبني العباسيين للسواد علامة هوياتية ،فقد كان لبس الأبيض في العصر العباسي من شعارات التمرد، لأنّه يمثّل في نظرهم حنيناً للحكم الأموي لذلك فقد تمّ منع اللون الأبيض في معظم الممارسات الاجتماعية ، من جانبٍ آخر فقد أُجبر أهل الذمة في العهد الفاطمي على لبس الأسود نكايةً في بني العباس ،ولفان فلوتن رأي مبتكر في اختيار العباسيين للسواد هويةً سياسيةً لوجودهم فهو يرى" إنّ المميز على الثقافة الدينية في العهد الأموي طغيان روايات الملاحم والتنبؤات ،ونضوج فكرة المهدي ذي الرايات السود التي يملؤها عدلاً بعد أنْ مُلئت جوراً"(ينظر فلوتن ۹٦۱۹م: ۱۰۰-۱۰۱-۱۰۲-۱۰۳) وبذلك فهو يعزو اختيار السواد إلى محاولة الاتكاء على أصلٍ مقدسٍ، وتقديم أنفسهم مصلحين موعودين لاجتذاب الناس نحوهم ، وهو ما يفسر قول الكميت الاسدي:

وإلّا فارفعوا الرايات سوداً على أهل الضلالة والتعدّي (الاسدي۲۰۰۰م:۱۲٦)

اللون سجناً دينياً

أن التطويب الرمزي للألوان الدينية مثّل شكلاً ايدولوجياً من أشكال الترويض الثقافي للإنسان ، أو إعادة التمثّل الرمزي لسلطات الدين ،ف"هو النظرية العامة لهذا العالم، إنّه موسوعته الكلية،منطقه في صورةٍ شعبيةٍ، نخوته الروحانية،إنّه عقابه الأخلاقي،إطراؤه الاحتفالي،إنّه عزاؤه وتبريره الكوني"(هيرفيه٢٠٠٥م:١٨-١٩)،والثّوب خطابٌ ثقافيٌّ تشكّلت ملامحه بفعل عاملين الوظيفة والدين إذ "إن الرموز الدينية تنتج نوعين من المشاعر: توجهات وجدانية ودوافع، وتكتسب الدوافع معناها من الغايات التي يُعتقد أنها ستؤدي إليها، بينما تكتسب التوجهات الوجدانية معناها من الظروف التي يُعتقد أنها أوجدتها"(أسد٢٠١٧م ٥٧-٥٨)،فقد تأسست كيفيته وألوانه تبعاً لحاجاتٍ اجتماعيةٍ وبيئيةٍ ساهمت بتغليفه بطبقةٍ رمزيةٍ محددةٍ " إذْ يمكن للون أنْ يتحرك على شاكلة تعبيرٍ رمزيٍّ،أو تكوينٍ جماليٍّ..وثمّة فرضيةٍ شائعةٍ حول عمومية مدلولات الألوان بين الثقافات ، أو ما يسميه غريماس البنية اللا زمنية ، أو ما أُطلق عليه ميشيل ليريس البنية اللاواعية"(عبيد٢٠١٣م:٤٠)، في إشارةٍ إلى الاتفاق الضمني الذي يبدو في بدايته قسرياً لكنه لا يلبث أنْ يتحوّل بفعل التكرار إلى قيمةٍ جماليةٍ، ،وهو ما يجعلنا نفهم الدور الوظيفي الذي أملته حرارة الصحراء على العرب في لبس البياض ،الذي اشتهر به المسلمون حتى صار علامةً دالةً عليهم،واستخدم القران الكريم بياض الوجه يوم القيامة رمزا للفوز في الآخرة"(عمر١٩٩٧م:١٦٣) وذلك في قوله تعالى" يوم تبيّض وجوه وتسوّد وجوه أمّا الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله"(آل عمران١٠٦-١٠٧)،وفضلاً عن كونه علامة سيميائية تشير إلى الإيمان فقد اتخذ من اللون أيضا علامة للتمييز ؛لوناً وصوتاً ،لذلك تعدّ لفظة الغيار وهي مما اشترط على أهل الذمة لبسه ،لذلك فإنّ المخيلة الاجتماعية بدفعٍ من السلطات الغاشمة ،صارت تُطنب في فرض شروط ذلك الغيار، بما يجعل من الإنسان الذمي منتهكاً ،مسلوب الكرامة ،فالغيار لم يعد لوناً، بل كيفيةً أضاف لها المتأخرون شروطاً مهينةً، وجعلوها جزءاً غائباً من العهدة العمرية ،التي تسرب إليها في ظنّي الكثير ممّا لم يكن فيها أصلاً ، فوفاء سلطان الكاتبة السورية تنقل بمقالٍ لها " أنّ المسلمين اشترطوا أنْ يعلّق الذمي كيساً في قفاه، تكون غايته أنْ يضع المسلم أحماله فيه ،إنْ لم يستطع حملها، وما على الذميّ سوى الإذعان لذلك، وحمل أغراض المسلم بذلك الكيس حتى يوصلها لبيته، وقد سمّت وفاء سلطان استسلام الذمي لذلك بعقدة كيس الحاجة" (موقع http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٢٣٧٨٥٦) .

أمّا الزنار وهو حبلٌ غليظٌ يشدّه الذمي على وسطه، فإنّما كانت غايته الإهانة وحسب ، لذلك يوصي ابن القيم "ليكن الغيار وشدّ الزنار مما يؤمرون به بالحضرة وبالأعمال، بالديار المصرية والأقاصي من صبغ أبوابهم وعمائمهم باللون الأغبر الرصاصي،وليؤخذ كلّ منهم بأن يكون زناره فوق ثيابه،وليحذر غاية الحذر أنْ يكون منصرفاً إلّا به،وليمنع لابسه أنْ يستره بردائه، وليحذر الراكب منهم أنْ يخفيه بالجلوس عليه لإخفائه" (ابن قيم الجوزية ١٩٩٧م:٤٩٣).

وإذا كانت العمامة طرازاً بدوياً عرفه العرب في الجاهلية كجزء من معمارية اللباس العربيّ ، فإنّه بعد أن تحوّل الدين إلى سلطةٍ، أصبحت معلماً مختصاً بالمسلمين، لذلك فبرك الحاكمون روايةً تناسب عصبيتهم،فاعتبروا العمامة امتيازاً إسلامياً محضاً ، بما رواه ابن تيميه " دخل ناسٌ من بني تغلب على عمر بن عبد العزيز وعليهم العمائم كهيئة العرب فقالوا يا أمير المؤمنين ألحقنا بالعرب قال فمن أنتم قالوا نحن بنو تغلب قال أو لستم من أواسط العرب قالوا نحن نصارى قال عليّ بجلمٍ فأخذ من نواصيهم وألقى العمائم وشقّ رداء كلّ واحدٍ شبراً يحتزم به ،وقال لا تركبوا السروج واركبوا على الأُكف ودلّوا أرجلكم من شقٍّ واحد"(ابن تيميةّ ٢٠٠٠م :ج١٢٣/١)،ويشترط الماوردي شرطاً جديداً في اللباس"وأمّا لبس فاخر الديباج والحرير ،فلا يمنعون منه في منازلهم ،وفي منعهم منه ظاهراً وجهان:أحدهما:يمنعون منه لما فيه من التطاول به على المسلمين ، والوجه الثاني : لا يمنعون منه كما لا يمنعون من فاخر الثياب القطن والكتان ، ولأنّهم يصيرون متميزين بلبسه من المسلمين ، لتحريم لبسه عليهم " (الماوردي ١٩٩٩م: ج١٤ /٣٢٦).

والغالب أنّ العمامة السائدة في العالم الإسلامي هي العمامة البيضاء أو غطاء الرأس الأبيض وقد سعت الدولة الإسلامية إلى تعميم ذلك الخيار ،فوجدنا الدروز والعلويين والاباضية والسنة والإسماعيلية يجعلون اللون الأبيض غطاءً للرأس لرجال الدين فيها ، وفي ظنّي إنّ الشيعة اختلفوا عنهم بأنْ جعلوا العمامة السوداء ميزةً للعلويين منهم، إنّما بسبب عدم خضوعهم لامتيازات السلطة الحاكمة وكنوع من مغايرة المألوف،ولعلنا من جانبٍ آخر نرى للضرورة الكهنوتية دور رئيسي في إنشاء تلك التراتبية اللونية كون الشيعة يمارسون سلطاتهم على أتباعهم من خلال مدارس علمية دينية بحاجة إلى التنظيم الكهنوتي فكان لابدّ من الألوان للتمايز الدلالي فيها ، وهي مدارس تتخذ من الفقه الجعفري المناوئ للفقه الحنفي العثماني الذي اتخذ البياض علامةً دالةً، فكان ذلك التضاد محرضٌ رئيسيٌّ على النزوع نحو اتخاذ السواد علامةً كهنوتيةً شيعيةً ،وبتعميمٍ مركزيّ من السلطات الصفوية.

الراية عنوانا لونيا

تلجأ الجماعات البشريّة إلى الاتفاق على علامةٍ سيميائيةٍ جامعةٍ بينها،وحاضنةٍ لرؤى مشتركةٍ تخصّها ،فتأتلف الجماعة حولها بوصفها رمزاً للوحدة ،وعلامةً تكتنز برمزية الاعتقاد الذي يخصّها ، وهذه العلامة تُعبّأ بالدلالات على مستوى الألوان والأشكال والخطوط،ومن هذه العلامات" الرّاية عند العرب التي هي رمز الصمود، ولذلك عدَّ سقوط الراية سقوطاً وانهزاماً للجيش،لذلك تتلقف الراية الأيدي باهتمامٍ بالغٍ"وقد تضمن الشعر الجاهلي إشارات كثيرة إلى الراية واللواء والعلم والعقاب والعصبة والخال"(القيسي،اللواء والراية مجلة الأقلام العراقية، العدد ١لسنة١٩٦٤م١٥٣) ويمكن تتبع ذلك في قول عمرو بن كلثوم:

بأنّا نورد الرايات بيضاً   ونصدرهنّ حمرا قد روينا(ابن كلثوم ١٩٩١م :٧١)

وقد اتخذت الأمم والأقوام عبر التاريخ راياتٍ ترمز إليها لتميز نفسها عن غيرها من الأمم والقبائل، فالإنسان يبتكر رموزه لكي يرضّن وجوده ،ويضفي بعضاً من الجدوى على حواشي انتمائه،وقد أكد كاسيرر على أهمية دراسة البعد الرمزي للإنسان دراسةً تاريخيةً تقف عند شروط تكوّن الرمز والعلامة.ويبن في هذا الشأن أنّ مفهوم الرمز مرّ بثلاثة مستوياتٍ ،وهي مرحلة المحاكاة البسيطة التي يكون فيها الرمز مجرد إعادة إنتاجٍ للأشياء،ثم مرحلة المماثلة حيث يقوم الرمز بتمثيل خواص الأشياء، وأخيراً مرحلة الرمزية المجردة(العميري لتواصل والأنظمة الرمزية ،جريدة الشعب التونسية الأحد ٢١ ديسمبر ٢٠١٣)،وحين يُتمِّم شعبٌ ما رموزه بقوة المقدس ،تصبح أيّ مماحكةٍ للرمز انتهاكٌ لسلطة المقدس" فالرمز هو تلك اللغة التي تجعل المؤمن مثلاً ينتمي إلى المجموعة المتكلّمة باللسان نفسه،بمعنى إنّ لكلّ مجموعةٍ دينيةٍ نظامها وقيمها الرمزية، بها تعرف، وحينما ينهار هذا النظام أو تهتزّ تلك القيم تفقد تلك المجموعة هويتها الدينية"(الجمل ٢٠٠٧م :٢٣).

والراية الملونة رمزٌ بصريٌّ يحيل إلى فضاءٍ يختزل كلّ القيم وتتمحور حوله كلّ الفضائل المنظورة وغير المنظورة وهو حاجةٌ وابتكارٌ،فالرمز حاجةٌ وضرورةٌ اصطناعيةٌ،وإذا كانت الرايات في الجاهلية متعددة فإنها أصبحت مع الدولة الإسلامية الأولى مركزيةً تمثّل الدولة ،مضافاً لها راياتٍ أخرى مرافقة تمثل الأعداد القبلية المشاركة في تلك الحرب ،في مقابل ذلك تبنّت الفرق الهامشية ألواناً معينةً لشعاراتها ومن أجل أن تبرر اختيارها،اأاخترعت روايات تشرعن لها خياراتها "فقد روي أن اللون الأسود والأبيض كانا من ألوان رايات الرسول (ص) وكما ذكر أن الرسول (ص) فضّل كذلك الأصفر،والأخضر" وجرت العادة أنّ الطرف المعادي يوجه ضرباته إلى حامل الراية قبل غيره، حتى يُثبط من عزيمة الجيش ويعمل بذلك على اختلاف صفوفه"(حركات١٩٨٥م :٢٦٦)، وينقل ابن سعد في طبقاته "كان على رأس جيش الرسول (ص) لواءً أبيضاً ومعه رايتان سوداوان، كانت إحداهما من مرْطٍ لعائشة رضي الله عنها، وتسمى العقاب"(الزهري،٢٠٠١م:ج١ص١٥١) فيما يرى ابن خلدون أنّ العباسيين اختاروا " لون السواد تخليداً لذكرى راية الرسول السوداء المسماة العقاب "(ابن خلدون١٩٦٠م: مج٢/٨٠٦-٨٠٧).

فيما يخص راية الأمويين الرسمية فالمؤرخون مختلفون حولها، لاسيّما فيما يتعلق بلونها وشكلها، ولم يعرْ المؤرخون مسألة الرايات أيّ اهتمامٍ يذكر باستثناء البعض منهم، مثل" القلقشندي" الذي أشار إلى أنّ"من بني أمية لبس الخضرة، وهذا صريح في أنّ شعارهم الخضرة" (القلقشندي١٩٨٥م: ج٢/٨٠٥-٨٠٦) وهناك من يرى بأنّ ألوية بني أمية كانت بيضاء، ومما لا شك فيه أنّ لون رايتهم لابدّ وأنّه كان يخالف السواد شعار العباسيين فيما اتخذ الفاطميون اللون الأخضر شعاراً لهم ،بينما ساهم الخوارج قد باختيار اللون الأحمر وسموا المحمرّة رمزاً للدماء المراقة في سبيل الله ،وهو الاختيار الذي تبناه لاحقاً العثمانيون حينما اتخذوه شعاراً وعلامةً لحكمهم ، ولعلنا بذلك نفهم طغيان تلك الألوان الأربعة على مجمل الرايات والأعلام في العالم العربي.

التمثلات الدلالية للألوان في الذاكرة الاجتماعية

ثقافة اللون معرفةٌ حدسيةٌ تخضع لامتزاج عدة عواملٍ اجتماعيةٍ وتاريخيةٍ، لكي تتبلور كقانونٍ عرفيٍّ لدى أفراد المجتمع "فالألوان ظاهرةٌ ثقافيةٌ ،وليست مسألةً غريزيةً أو فطريةً، لأنّ العوامل الثقافية هي التي تحدد اختيار وتفضيل الألوان"(بلاي٢٠١٠م:١٣)،لذلك ارتبطت الألوان في الذاكرة الاجتماعية للإنسان بمواقفٍ تاريخيةٍ حميميةٍ وهو ما يعني أنّ الإنسان"ربط الألوان بالعالم المرئي من حوله، كما رمز بها إلى قوى خفيةٍ يشعر بها ولا يراها أو يعرف كنهها، كذلك غزت الألوان عادات الشعوب وتقاليدها حتى صارت جزءاً من تراثها، واستخدمها الإنسان القديم والحديث في طقوسه الدينية وفي عبادته ولا تخلو حتى الأديان السماوية من هذه الطقوس"(عمر١٩٩٧م:١٦١)،فاللون الأبيض ارتبط بالخلاص والتسامي والعلو لذلك صار ملتصقاً على الدوام بالإيمان"فاللون الأبيض في الإسلام هو لون إحرام الحجيج لأنّه يختزل أعمال الإنسان وسيرته" (عبيد٢٠١٣م٦١)،إنّه اللون الذي يترجم الطهارة والنقاء ترجمةً بصريةً، لذلك جعله الإسلام لون الكفن ورداء الحجّ لما يحمله من طاقة ايجابية،بهذا الصدد يقول ميرسيا الياد أن" اللون الأبيض هو لون المرحلة الأولى من طقوس تلقين الديانة ،مرحلة مقاومة الموت أو بالأحرى مرحلة الانطلاق نحو الموت" (المصدر نفسه:٥٥).

اللون الأسود لونٌ يشير إلى الكمون والانغلاق، لون الحزن واللا مكان حيث يبدو كل شئ خالياً من أيّة ملامح، لذلك صار لون الحداد لأنّه يشي بمشاركة الأحياء وجدانياً للراحلين صوب النهايات حيث السواد يلف كل شئ "فالأسود يعبّر عن السلبية المطلقة، حالة الموت التامة واللا متغيرة" (المصدر نفسه:٦٤).وقد أطلقت العرب على الأخضر الأسود فسميت العراق بلد الزروع الخضراء بأرض السواد،والأخضر لون الحياة والخلود فهو"يرمز إلى الفكر الديني للخير والإيمان وهو شائع في قباب المساجد وأسفار الكعبة وعمائم الأشراف، والكساء الذي أرسله الله لتغطية نبيه وال بيته(أهل الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين ع)كان أخضر" (عبيد٢٠١٣م: ٩٦)، فلاغرو إذْ نجده صار نائباً عن المقدس لدى الشعوب التي تعتقد بإمكانية استنساخ إشارات المقدس،فالقداسة تتفشى وتنشطر لتنتقل عدواها إلى كلّ من تلامسه بشحناتها،فالخرقة الخضراء التي يأخذها الزائرون للمراقد المقدسة اكتسبت أهميتها ودلالتها من اقترانها بالمقدس حتماً"فلمّا كان المقدس قابلاً ،بطبيعته ،للتوزع والتشظي ،وبالتالي الحلول في دائرةٍ واسعةٍ من الأشياء ،فإنّ قداسته سوف تشعّ في كلّ جزءٍ يتصل به أو يتلامس معه " (الربيعي٢٠٠٠م: ٣٥٥) ويسمى لون الكاثوليك المفضل، ويستعمل في عيد الفصح ليرمز إلى البعث ،واللون الأخضر هو لون التعميد" (عمر١٩٩٧م: ١٦٤)، ولون ثياب أهل الجنة لذلك اكتسب أهميةً مضافةً لدى المؤمنين عامة،ويعتقد شبنغلر أن اللونين الأزرق والأخضر هما لونا الحضارة الأوربية لأنهما"اللونان الفاوستيان الموحدان في الألوان،هما لونا التوحد والهم،لونا حاضرٍ يرتبط إلى ماضٍ ومستقبل ،لونا مصير بوصفه ناموساً يحكم الكون من داخله" (شبنغلر٢٠٠٥م: ج٤٤١/١) .

اللون الأصفر لون الحصاد لذلك له أهميته عند الشعوب الزراعية فيما تنبذه الشعوب غير الزراعية وتراه لوناً للمرض والضعف ، لذلك صار لوناً دينياً عند الصينيين "فالأصفر هو لون الأرض الخصبة وهذا ما حدا بالصين القديمة أنْ تنصح الثنائي القادم على الزواج باختيار ثيابٍ وأغطيةٍ ومخداتٍ شفافةٍ جميعها من الحرير الأصفر وذلك لضمان الإنجاب"(عبيد٢٠١٣م:١١٠)،ومن اشتقاقات الأصفر اللون الذهبي الذي جعله شبنجلر لوناً للحضارة الإسلامية إذ "سار الفن العربي بالشعور المجوسي بالعالم إلى التعبير عن نفسه بواسطة الأرضية الذهبية لفسيفسائه وصوره"(شبنغلر٢٠٠٥م: ج٤٤٣/١) ،أمّا

الأصفر الباهت فدليل خيانةٍ وخيبةِ أملٍ"(عبيد۲۰۱۳م:۱۱٤)لكنه يختلف عن اللون الذهبي الذي يوحي بالفخامة والسمو فلا غرابة أنْ نجد إنّ القباب المقدسة طليت باللون الذهبي ليس لان الذهب نفيسٌ وحسب،وإنّما لأنّ اعتبارات اللون توحي بالحكمة والإنتاجية المستمرة والتعالي الايجابي.

اللون الأزرق لون البحر ،يعظم الاهتمام به كلما كان المكان يزدحم بالماء ،فان قلّ يتحول إلى رمزٍ سلبيٍّ لذلك نبذه العرب،فهو لون عيون الأعداء التاريخيين لهم، متمثلٌ ذلك بالروم، لذلك صار مكروهاً وألصقته العرب بكل ما هو منبوذ فقالت الجن الأزرق حتى قال الشاعر:

لقد زَرِقَتْ عَيْناكَ يا ابن مُكَعْبَرٍ كما كلُّ ضَبِّيٍ من اللُّؤمِ ازرق (ابن منظور۱۹۹۹م،ج٦ :۳٤)

وقد أمر الأمويون أنْ يكون لباس اليهود ازرق كناية عن احتقارهم وإذلالهم ونبذهم لهم ،إلّا أنّ اليهود حولوا تلك الإشارة إلى نسقٍ ايجابيٍّ، فالإنسان حينما يتصالح مع عقده ،يعيد إنتاجها لتكون عاملاً ايجابياً بحياته، أمّا إذا انغلق عليها ،فستتحول إلى ندبةٍ قاتلةٍ ،لذلك عمد التلمود إلى التعامل الايجابي مع ندوب التاريخ فقال" إنّ الزرقة تشبه البحر،والبحر يشبه الفلك والفلك عرش الجلال والمجد الإلهي وعرش الجلال الإلهي يشبه الياقوتة الزرقاء" (جعفر ،محمد كمال الألوان في اليهودية والإسلام ،حولية كلية الشريعة بجامعة قطر العدد ٤ سنة ۱۹۸٥م:۲٥٦)، إنّها نوعٌ من المعالجة بالضدّ، لكي يتخلّص الإنسان من أدرانها وليس هناك من علاجٍ ناجعٍ للتخلص من العقدة ،بغير أنْ تمزجها بآثار المقدس لكي يبدو استقبالها ايجابياً، لذلك صار اللون الأزرق "يمثّل مكانةً خاصةً في العبرية فهو لون الرب يهوه وهو أحد الألوان المقدّسة عند اليهود"(عمر۱۹۹۷م:۱٦٤) وهو لون النهرين اللذين يحيطان بإسرائيل المتخيلة، حتى صار جزءاً رئيسياً من ألوان العلم الإسرائيلي ،لأنّه اتّكأ على أصوله الكهنوتية، و صار اللون الرئيسي في ملابس الأحبار والكهان اليهود أيضاً.

اللون الأحمر لون التناقض، لون القوة والجبروت ، لون التصور الثوري الذي يتزاحم فيه الدم بالغضب "يرمز الأحمر في الديانات الغربية إلى الاستشهاد في سبيل مبدأٍ معينٍ أو دين، وهو رمزٌ لجهنّم في كثيرٍ من الديانات حيث توصف جهنّم بأنّها حمراء" (عمر۱۹۹۷م: ۱٦٤)، فهو لون التناقض الوجداني ، والتقابل الأعمى بين المتضادات المتساوية " لون الروح، لون الشهوة ،لون القلب، هو لون العلوم والمعرفة الباطنية الممنوعة"(عبيد۲۰۱۳م:۷٤)، وقد كانت العرب تنبذه لاقترانه بالدم المباح وبالشهوة الممنوعة ، لكنه اكتسب بسبب اقتران الدم بالقربان قداسة مجهولة، لذلك صوّر الفنانون المسيحيون"الملاك الذي بشّر العذراء بميلاد المسيح باللون الأحمر كما يرمز الأحمر إلى دماء المسيح،وهو لون عباءة القديسين ولون الاستشهاد في سبيل الدين" (عبيد۲۰۱۳م: ۷٤)،فلكل لون ذاكرة ثقافية تؤثث له الفضاءات الرمزية التي يكتنز بها ويؤثر من خلالها في الذاكرة الجمعية لأية مجموعة بشرية.

المصادر

-القرآن الكريم

-الكتاب المقدس

-ابن تيمية احمد بن عبد الحليم اقتضاء السراط، تحقيق ناصرعبد الكريم العقل،مكتبة الرشد الرياض۲۰۰۰م

-ابن خلدون مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الواحد علي وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، ۱۹٦۰ م ط۱

-ابن قيم الجوزية أحكام أهل الذمة تحقيق يوسف ابن احمد البكري، رمادي للنشر السعودية ۱۹۹۷ م ط۱

-ابن كلثوم عمرو ديوان ،تحقيق أميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي بيروت ۱۹۹۱ م ط۱

-ابن منظور الأنصاري ،لسان العرب، دار احياء التراث العربي– بيروت۱۹۹۹ م ط

-أبي طالب شيخ الأباطح ديوان ،جمع عبد الله بن أحمد المهزمي العبدي،تحقيق واستدراك: الشيخ محمد باقر المحمودي،مجمع إحياء الثقافة الإسلامية قم المقدسة ،ط۱

-أسد طلال جينالوجيا الدين ترجمة محمد عصفور دار المدار الإسلامي بيروت ۲۰۱۷ م ط۱

- الاسدي الكميت بن زيد ديوان ، تحقيق د.محمد نبيل الطريفي،دار صادر بيوت۲۰۰۰م ط۱

-ايكو أمبرتو السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة احمد الصمعي،المنظمة العربية للترجمة بيروت ۲۰۰٥ م

-بلاي هيرمان ألوان شيطانية ومقدسة،ترجمة صديق محمد جوهر، هيئة أبو ظبي للتراث ٢٠١٠ م ط١
-تروداك برتران علم النفس الثقافي: ٩٠، ترجمة حكمت خوري دار الفارابي بيروت٢٠٠٩م ط١
-الحر العاملي محمد بن الحسن وسائل الشيعة تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم ١٤١٢هـ
-حركات إبراهيم السياسة والمجتمع في عصر الراشدين ، (ط. الأهلية للنشر والتوزيع) بيروت ١٩٨٥م
-حنون د.نائل المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين ،دار الخريف للنشر والتوزيع دمشق ٢٠٠٦ م ط١
٢٢-خليل ،د.إبراهيم النقد الأدبي الحديث محمود،دار المسيرة للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠٧ م ط١
-الجمل بسام، من الرمز إلى الرمز الديني ،مطبعة التسفير الفني صفاقس تونس٢٠٠٧ م ط١
-الذبياني النابغة ديوان تحقيق حنا ناصر الحتي دار الكتاب العربي بيروت١٩٩١م ط١
-الربيعي فاضل ،ارم ذات العماد، رياض الريس للكتب والنشر٢٠٠٠م ط١
- الركابي.ناجي عباس، الأساطير المؤسسة للعقل الثقافي العراقي ،دار تموز ، دمشق ٢٠١٢ م ط١
-الزهري محمد بن سعد الطبقات الكبرى، ،تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي القاهرة٢٠٠١م ط١
-السواح فراس لغز عشتار،دار علاء الدين للنشر والتوزيع دمشق٢٠٠٢م ط٨
-شبنغلر اسوالد تدهور الحضارة الغربية،ترجمة احمد الشيباني،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت٢٠٠٥م ط١
- فلوتن ج.فان ،أبحاث في السيطرة العربية:، ترجمة إبراهيم بيضون،دار النهضة العربية بيروت١٩٩٦م
-القلقشندي أبو العباس أحمد مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٥م – الكويت ط٢
- القيس امرئ ديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ م ط١
-كلود عبيد الألوان ،دورها،تصنيفها،مصادرها،رمزيتها،دلالتها ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت٢٠١٣م ط١
- كورتيس جوزيف سيميائية اللغة، ،ترجمة د.جمال حضري،المؤسسة الجامعية ،بيروت٢٠١٠م ط١
-لفنسون كلود ب. البوذية، ،ترجمة محمد علي مقلد،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت٢٠٠٨ م ط١
-الماوردي أبو الحسن البصري الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي دار الكتب العلمية، القاهرة١٩٩٩م
- المنصوري محمد طاهر ،في التحجب والتزتر ، دار تبر الزمان تونس ٢٠٠٧ م ط١
-عجينة ،د.محمد موسوعة أساطير العرب ،دار الفارابي بيروت ١٩٩٤ م ط١
-عمر د.احمد مختار اللغة واللون ،عالم الكتب للنشر والتوزيع القاهرة م ١٩٩٧مط ٢
-هيرفيه دانيال سوسيولوجيا الدين، ، ترجمة درويش الحلوجي،المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠٥ م
- يوسفي جمشيد الزرداشتية ،الدكتور ،مكتبة زين الحقوقية والأدبية بيروت ٢٠١٢ م ط١

الرسائل الجامعية

١- أبو عون أمل محمود عبد القادر اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها-جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين ٢٠٠٣م

الدوريات والمجلات

١-جعفر محمدكمال حولية كلية الشريعة بجامعة قطر رمزية الألوان في اليهودية والإسلام،العدد٤، ١٩٨٥م
٢- القيسي نوري حمودي مجلة الأقلام العراقية، العدد ١السنة١٩٦٤م، مقال اللواء والراية
٣- العميري إبراهيم جريدة الشعب التونسية الأحد ٢١ ديسمبر ٢٠١٣ م، التواصل والأنظمة الرمزية ،
٤- الميساوي الصادق حوليّات الجامعة التّونسيّة ،الألوان في اللّغة والأدب: العدد٣٦ لسنة١٩٩٥م